معركة تكريت: التفاصيل ودلالاتها

علاء اللامي *

مع إعلان ساعة الصفر من قبل رئيس مجلس الوزراء العراقي حيدر العبادي من مدينة سامراء في الأول من آذار/ مارس الجاري، وبدء العمليات العسكرية التمهيدية، قالت مصادر عدة إن اسم العملية هو «ثأر شهداء سبايكر» غير أن جهات حكومية أعلنت بعد وقت قصير أن اسمها الصحيح هو «لبيك يا رسول الله».
إن هذا الخلاف في التسمية، والذي قد يبدو صغيراً للبعض، ينطوي على دلالة مهمة تقول لنا إنّ أجواء هذا العمل العسكري الكبير يعكس المضامين والمنطلقات ذاتها التي يقوم عليها نظام الحكم القائم في عراق ما بعد 2003، وهي مضامين لا تخرج عن إطار الطابع المكوناتي الطائفي الديني والذي تهيمن فيه الأحزاب الإسلامية الشيعية، إضافة إلى الطابع العشائري الآخذ بالتقاليد الثأرية، وهي ستكون متأثرة به على مستوى النتائج والآفاق المستقبلية. يمكن أيضاً أن نتلمس في اختيار الاسم الثاني للعملية محاولة حكومية فحواها توافقي أو تصالحي ضمن المنطق الطائفي ذاته يحاول إبراز ما يجمع الطائفتين الكبيرتين في البلاد من خلال اختيار اسم لا يختلف عليه السنة والشيعة والقفز على الطوائف الأخرى، ورغم حسن النوايا الظاهرة في هذا المسعى إن صح احتمال وجوده فهو لا ينفي بل يؤكد ما قلناه حول المنطق السلبي العام الذي يحكم حركة نظام المحاصصة.
هذه العملية العسكرية الضخمة، كما هو معلن، تستهدف تطهير ما تبقى تحت سيطرة مسلحي تنظيم «الدولة» في محافظة صلاح الدين المهمة والمحاذية لبغداد، وكان من أبرز ما توقف عنده المراقبون والمحللون فيها أنها تجرى من دون دعم مباشر من طيران التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة، فالمصادر الأميركية أعلنت أنها لم تتلقَ طلباً بالدعم الجوي من الحكومة العراقية في حين قالت الأخيرة على لسان وزير دفاعها لدى استقباله لوزير الدفاع التركي الذي جاء داعماً إنها تريد أن تكون هذه العملية عراقية تخطيطاً وتسليحاً وتنفيذاً مئة في المئة. مصادر إعلامية مستقلة نقلت عن مسؤول محلي في محافظة صلاح الدين قوله إن الولايات المتحدة اشترطت إبعاد قوات الحشد الشعبي - وهي قوات مدنية مسلحة من متطوعين لبوا نداء المرجعية الدينية الشيعية لمساندة الجيش بعد سقوط الموصل - عن ساحة المعركة، وهذا شرط رفضه رئيس الحكومة وأركانها وقرروا خوض المعركة من دون دعم أميركي وبقوات بلغ عديدها القتالي أكثر من ثلاثين ألف مقاتل، ثلثهم من الجيش والشرطة، والثلثان الآخران من قوات الحشد الشعبي والعشائر العربية السنية الرافضة لداعش.
فما دلالات هذا الشرط الأميركي ورفضه الحكومي العراقي؟
إن التفسير السريع والذي فُسر به الشرط الأميركي، والذي يعلل هذا الرفض بتركيبة قوات الحشد المجتمعية وكونه من «الشيعة» وبالدعم الإيراني المباشر لها، ينطوي على الكثير من الاستعجال ولكنه لا يخلو من بعض الصحة فهو لا يعني أن الولايات المتحدة ضد وجود قوات مسلحة مؤلفة من طوائف محددة وهي التي أسست نظام حكم المحاصصة الطائفية وجهدت بكل الطرق لترسيخه ودوامه، ولكنها كانت تريد مقابلاً طائفياً من الطائفة الأخرى لهذه القوات شبيهاً بها وبقوات البيشمركة الكردية من حيث المحتوى الاجتماعي والسياسي. وقد اقترحت الإدارة الأميركية فعلاً تشكيل كيان عسكري يحمل اسم «الحرس الوطني» ولكن مقترحها هذا سار سيراً متعثراً حتى الآن وفي اتجاه آخر.
ثمة سبب آخر قد يسهم في تفسير هذا الشرط ورفضه هو أن قوات «الحشد»، قبل وبعد قرار مقتدى الصدر بتجميد وسحب قواته «سرايا السلام» منها والمعارك على أشدها، كررت اتهاماتها للطيران الأميركي بإلقاء المساعدات العسكرية على مواقع لداعش؛ وكان رئيس الوزراء نفسه قد نفى هذه الاتهامات وانتقد بشدة إطلاق النار من قبل قوات الحشد على طائرة «أباتشي» أميركية في منطقة «الحبانية» قبل بضعة أيام. وهذا يعني أن القيادة العسكرية الأميركية أمست تخشى فعلاً من رد فعل عملي من قوات «الحشد» ضد طيرانها وعسكرييها فوضعت هذا الشرط، وهو ما تحاول الحكومة الآن استثماره دعائياً وإثبات أن الدعم الجوي الأميركي والدولي ليس إلا صفراً على الشمال من الناحية العسكرية وهو كذلك من الناحية العملية.
أما التفسيرات الذاهبة إلى أن واشنطن تتحفظ وترفض تصرفات قوات «الحشد» ضد مواطني تلك المناطق من العرب السنة بعد تحريرها فهي - رغم ثبوت وجود ممارسات مدانة كثيرة كهذه، اعترفت بها بعض قيادات «الحشد» ونسبتها لقوى وعناصر ضالة أو مشبوهة اخترقت صفوفه، وهذا تبرير جزئي ومضلل لتلك الممارسات يضع أصحابها اللوم على الثمار وليس على الجذور، جذور النظام السياسي المحاصصاتي القائم - نقول، إن هذه التفسيرات الأميركية لا يُعتد بها تماماً، فالثابت من خلال تجربة العراقيين مع الولايات المتحدة وقواتها العسكرية أن آخر ما يعنيها هو سلامة العراقيين وإزالة التعديات ذات الطابع الطائفي، ثم متى كانت دماء العراقيين أو غيرهم تؤخذ في حساب العسكرية الأميركية الوالغة في دماء الشعوب؟
كما يمكن أن نتلمس دلالات إضافة إلى عدم حماسة الحكومة العراقية للحصول على هذا الدعم في تكرار مسؤولين كبار فيها، من بينهم العبادي نفسه، والذي قال

نهاية هذه المعركة لن تكون نهاية الحرب، بل قد تكون بداية هذه النهاية (أ ف ب)

«اقتتالنا على السماء أفقدنا الأرض»

زهير أندراوس *

لا نتجنّى على الحقيقة ولا نُجافيها إذا قلنا وفصلنا أيضاً بأنّ تنظيم الدولة الإسلاميّة (داعش) يتصدّر الأجندة السياسيّة والإعلاميّة في العالم قاطبةً. ولكي نكون على درجة من العلميّة العمليّة نُضيف بأنّ هذا التنظيم البربريّ، تمكّن عن طريق استخدام التقنيات الحديثة والمُتطورّة في عالم الاتصالات من فرض نفسه على المُشاهدين، المُستمعين والقرّاء في شتّى أرجاء المعمورة. وللأسف الشديد، عوضاً عن تجاهله، ورفض عرض أشرطة الفيديو المُقزّزة التي يدأب على نشرها، نقوم، نحن المُتلقين، من حيث ندري أوْ لا ندري، بالمُساهمة الفعالّة في زيادة نشر هذه القاذورات، ومحاولة سبر غورها. وقبل الخوض في قضية «داعش» السياسيّة علينا أنْ نُوجّه سؤالاً ليس بريئاً بالمرّة: الولايات المُتحدّة الأميركيّة، رأس حربة الإمبرياليّة العالميّة، هي التي تتحكّم في مواقع التواصل الاجتماعيّ (تويتر وفايسبوك)، وهي أيضاً المالكة لموقع «يوتيوب»، علاوة على مُحرّك البحث الأشهر في العالم «غوغل»، وبما أنّها تتحكّم في النشر، فبإمكانها منع هذا التنظيم الوحشيّ من استخدام الأدوات التكنولوجيّة التي يُنتجها «الكُفّار» لترويج الأعمال الشيطانيّة التي يقوم بها عناصره في سوريّة، العراق وليبيا، وبالتالي لماذا لا يتخذ النظام الحاكم في البيت الأسود التدابير والاحتياطات لشطب هذه المواد من الشبكة العنكبوتيّة؟ صحيح، أنّ أميركا معنيّة، لا بلْ معنية جداً بأنْ تنتشر هذه المواد لتشويه صورة العربيّ والمسلم على حدٍ سواء، وكأنّ صورتنا في العالم، ما شاء الله، ناصعة البياض كثلج كوانين. نعرف بأنّ هذا التنظيم هو صناعة أميركيّة، وندري أنّه يقوم بحروب بالوكالة و»ثورات» بالإنابة عن المستعمرين وعن الصهاينة، ولكن نُفكّر وبصوتٍ عالٍ: حتى متى سنبقى مطيّة لألد الأعداء؟ حتى متى سنظلّ ننتهج سياسة التبعيّة المُطلقة للأشرار في هذا العالم، الذين يكّنون العداء والكراهية لكلّ ناطق بالضاد، ولكلّ مَنْ يقول لا إله إلّا الله محمدٌ رسول الله؟ بكلمات أوجز: حتى متى أو إلى متى سنبقى أسرى التلّقي؟ وهل من بصيص أمل في أنْ ننتقل من مرحلة التلقّي إلى مرحلة المُبادرة؟ الصورة سوداوية جداً، الوطن العربيّ يمُرّ في أحلك الظروف، وبدلاً من دراسة الوضع وما آل إليه، يُواصل النوم في سرير العلاج المُكثّف، ينتظر الفرج القادم من السماء، متناسياً عن سبق الإصرار والترصّد مقولة الشهيد البطل، أنطون سعاده، بأنّ «اقتتالنا على السماء أفقدنا الأرض».

■■■

يقولون إنّ الفرق بين العرب والغرب نقطة: فهم شعب مختار، ونحن شعب محتار، هم تحالفوا والعرب تخالفوا، هم وصلوا إلى درجة الحصانة، ونحن ما زلنا في طور الحضانة. ومع كلّ ذلك علينا أنْ نكون على درجةٍ عالية من النزاهة والشفافية والاستقامة الفكريّة، وأنْ نطرح القضية المركزيّة بدون رتوش: داعش هو صناعة أميركيّة، كما فعلتْ الولايات المُتحدّة عندما أقامت القاعدة لتخلي أفغانستان من الشيوعيين «الكفرة»، ولكن لماذا هذه الصناعة لم تُطبّق على شعوب وأمم أخرى سوى العرب؟ أين الخلل؟ هل الانتماء الديني هو السبب المفصليّ، الذي فتح الباب على مصراعيه لاستباحة أمّة الناطقين بالضاد؟ هل عدم فصل الدين عن الدولة، كما يتوخّى كل منْ يرغب باللحاق بركب الحضارة، هو السبب الثانويّ لهذه الهجمة الاستعماريّة الشرسة علينا بهدف تمزيقنا وتفتيتنا؟ قبل الإجابة على السؤال المطروح، نرى لزاماً على أنفسنا إجراء مقاربة أوْ مقارنة، أوْ الاثنتين معاً، بين الأمّة العربيّة وشعوب أميركا اللاتينيّة، في محاولةٍ متواضعةٍ لوضع الأصبع على الجرح النازف في وطننا العربيّ. لا يُخفى على أحدٍ، ولا يجب أنْ يُخفى على كائن مَنْ كان، بأنّ شعوب أميركا اللاتينيّة، ذاقت الويلات وعانت الأمرّين من أنظمة الحكم الفاشيّة والاستبداديّة، التي كانت مدعومة قولاً وفعلاً، مادياً ومعنوياً من بلد الشياطين الجدد أميركا، التي عملت بدون كللٍ أوْ ملل على تكريس هذه الحالة، لأنّها تصُب في مصالحها الاستراتيجيّة والتكتيكيّة معاً، ذلك أنّ هذه الدول تقع في الساحة الخلفية لواشنطن. لا نعتقد بأنّ أنظمة الحكم في تلك البلاد كانت أقّل استبداداً وظلماً بحق المواطنين من أنظمة الاستبداد في ما يسّمى بالدول العربيّة، ومع ذلك، أوْ قُل على الرغم من ذلك، تحقق المُستحيل، فقد ثارت ثائرة هذه الشعوب على الظلم والطغيان ونهب الثروات، وحاول الحكّام الاستعانة بأميركا، وحاولت الأخيرة الاستعانة بعملائها ووكلائها في أميركا اللاتينيّة لوقف هذا الطوفان الثوريّ، إلّا أنّ إرادة الشعوب لا تُدخل إلى مُعجمها كلمة مُستحيل، وبالتالي واصلت تقديم الشهداء، الجرحى والأسرى من أجل التحرر ونيل الاستقلال الحقيقيّ، داخلياً وخارجياً، وما هي إلّا

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ 666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper